ماذا تفعل اسرائيل في شمال العراق؟

صابرين دياب*

■ بينما كنت اتحدث الى صحافي اسرائيلي يعمل في صحيفة «يديعوت احرونوت» في احدى غرف معهد العلوم التطبيقية «التخنيون» في مدينة حيفا حول البحث البيئي الذي اجريته في وسطنا العربي الفلسطيني خلف الجدار، واذا برنين جواله المزعج يخرج صداه من حقيبته ليلتقطه بسرعة البرق وتسقط منه ورقتان دون ان يشعر وينصرف خارج الغرفة للاجابة على المتصل به، وبدا لي انه واجه صعوبة للتحدث امامي، غير ان ما همني وشغلني الورقتان الساقطتان فالتقطتهما انا مجازفة وربما قد اسأت الادب في تصرفي، بعد ان لفتت انتباهي خارطة للعراق المحتل مقسمة الى ثلاثة الوان، أزرق في الجنوب، احمر في الوسط، اخضر في الشمال، ولاحظت اشارة «X» وتحتها كلمة هاولار واشارة «Z» باتجاه الشمال، وعلى هامش الخارطة لاحظت ثلاث نجوم وقبالة كل كلمة بالعبرية، «موطورولا»، «ماغيل معراخوت»، و«تساهل ـ جيش الدفاع الاسرائيلي ـ»، اما الورقة الثانية كانت خارطة لدينة كركوك كتب في اعلاها كركوك بالعبرية ولاحظت خطوطا لم اتمكن من احصائها، وثلاث او اربع نقاط سوداء لم افلح للاسف في قراءة بعض الجمل المدونة في اسفل الورقة لسوء الظرف فقد كنت ملزمة لاستعادتهما كيفما كانتا، والواقع انني انشغلت بما رايت فالعراق العربي المحتل تنتهك حرمة اراضيه من كل حدب وصوب وأثناء ذلك دخل الصحافي الاسرائيلي لنستمر في الحديث حول بحثي المذكور انفا، دون ان استوضح منه شيئا خاصة بعد ان تناول الورقتين «بصورة خبيثة» ظنا منه انني لم الحظهما، وبعد انتهاء الجلسة توجهت للبحث في موقع صحيفة «يديعوت احرونوت» ووجدت تقريرا نشرته الصحيفة منذ خمسة اشهر تقريبا حول النشاط الاسرائيلي في شمال العراق، وبموجب تفاصيل ومعطيات التقرير فان عشرات كثيرة من الاسرائيليين من ذوي الخلفية العسكرية القتالية للفرق المختارة قد ارسلوا من قبل شركات تجارية اسرائيلية الى المنطقة الكردية خلال السنتين الاخيرتين بهدف تدريب واقامة فرق عسكرية كردية خاصة ومختارة «لحماية الامن ومحاربة الارهاب»!!

وربما هذا يفسر لي وجود وعلاقة شركة «ماغيل معراخوت» التي اسسها رئيس جهاز المخابرات الاسرائيلية السابق وعضو الكنيست الحالي داني يتوم وشركة «موطورولا»، ففي السر قامت الشركات الاسرائيلية ببناء وتجهيز مطار «هاولار» قرب مدينة اربيل ربما كرمز على طريق اقامة الدولة الكردية، وربما هي الشركات الاسرائيلية التي تنشئ قاعدة عسكرية في منطقة ما شمال العراق وتعطيها اسما سريا «Z» وقد تكون هذه المنطقة التي يتم فيها تدريب فرق من الاكراد على السلاح وطرق محاربة الارهاب وهذا ما يفسر وجود كلمة «تساهل» على الورقة، ولا غرابة ان من يقوم بالتدريب فيها طاقم من القادة العسكريين الاسرائيليين وجهاز الموساد، ويدخل خدام استراتيجية التامر على العراق تحت ستار التخصص وانهم مهندسو شوارع وخبراء زراعيون!

وبما يخص خارطة كركوك في الورقة الثانية يزعجني حتى الساعة انني لم اتمكن من فهم الخطوط وقراءة ما كتب في اسفلها، الا ان وجودها مع ذلك الاسرائيلي ـ صحافيا كان ام عسكريا ـ يثير القلق، فلماذا خارطة كركوك؟ وما مدلول تلك النقاط السوداء والخطوط فيها؟ هل للنفط الكركوكي علاقة بالنقاط والانابيب؟ ام لامر ما لا نعرفه؟ ولما لم تنشر «يديعوت احرونوت» شيئا حول كركوك؟ وفي كل ما ذكرته انفا يحق لي التساؤل لماذا يحتفظ الاسرائيلي بتلك الورقتين ويتعامل معهما بحساسية واهتمام بالغين؟!

ان ما كشفت عنه صحيفة «يديعوت احرونوت» وما تحمله هاتان الورقتان من دلالات يعكس حقيقة الدور الاسرائيلي في اطار المخطط الاستراتيجي التامري الذي نسجت خيوطه قوى الاحتلال الانجلو ـ صهيوامريكي في العراق المحتل وضد شعب العراق ووحدة العراق الاقليمية، فالحديث واضح وجلي يؤكد بأن هناك محاولة لبلورة البنية التحتية في كردستان العراق لتجسيد تقسيم العراق الى دويلات، كردية في الشمال، شيعية في الجنوب، وسنية في المركز وهذا ما يفسر الالوان الثلاثة في ورقة الاسرائيلي.

وتجدر الاشارة المؤلمة الى ان محرك الشر الاسرائيلي ينشط في شمال العراق منذ سنوات طويلة مضت، وذلك في أطار المخطط الاستراتيجي للعدوان الكولونيالي الامريكي العدواني للمس بسيادة واستقلال العراق وتمزيق اوصال وحدة اراضيه الاقليمية، فمن موقع الحليف الاستراتيجي للعدوان الامريكي برز التدخل الصهيوني في الشأن العراقي الداخلي ابان وبعد حرب الخليج العدوانية الاولى في العام 1991 بعد ان حولت الامبريالية الامريكية كردستان العراق الى منطقة معزولة عن الوطن الام وتحت الوصاية والحماية الامريكيه.

ان ما يجري في كردستان العراق من نشاط سري حتى اليوم بين تحالف قوى التامر الامريكي ـ الاسرائيلي مع الحكم الكردي في هذا الاقليم يكشف الابعاد السياسية الخطيرة التي يرسمها الاستعمار الامريكي والتي دمرت سيادة العراق ووحدة اراضيه الاقليمية ـ السياسية، ولهذا فان تصعيد المعركة لانهاء الاحتلال الامريكي للعراق وتقليع خدامه الاسرائيليين يخدم المصالح الحقيقية لشعب العراق بعربه واكراده وجميع الوان طيفه.

* * *

لن تجد مجموعة دول في معظم ارجاء المعمورة، تهضم حقوقها وتبتلع خيراتها وتعامل بمنتهى الاذلال من قبل امريكا مثل الدول العربية. وانا واثقة ان هذا هو رأي الغالبية الساحقة جدا من الشعوب العربية.

وقلما تجد مجموعة دول فيها هذه الخيرات مثل الدول العربية المنضوية تحت راية جامعة الدول العربية، ودلقت العديد من الشعارات حول الوحدة، والسوق العربية المشتركة والمقاطعة العربية لاسرائيل، ومؤتمرات عربية لمختلف المهن من اطباء ومحامين وحقوقيين واتحاد برلمانيين وخطابات ومزاودات وحتى قرارات.

وهي اكبر دول منتجة ومصدرة للبترول، فيها السعودية والكويت وقطر والبحرين والامارات والعراق والجزائر وليبيا.. وهي اكثر دول مستغلة، وهذا النفط بانتاجه وتكريره وتسويقه يصب بمعظمه في الولايات المتحدة، العدو اللدود للشعوب العربية مباشرة وبواسطة اسرائيل، حتى هذه الخسائر في البورصة والاسواق المالية لعدد من دول الخليج هو من صنع امريكي، في هذه الدول اعلى نسبة امية، وتقاطب فظيع بين القلة القليلة والغالبية الساحقة، وهي اكثر دول تشتري اسلحة امريكية لا تصلح ولا تستعمل الا لحماية النظم العفنة، وهذا التكديس للسلاح الامريكي هو مصدر من مصادر الدخل لامريكا وحماية مصالحها، وحبذا لو نتزود اكثر بمعلومات حول عدد الادمغة العربية التي تنقلها امريكا الى بلادها في مختلف المجالات ومنها الذرة على سبيل المثال لا الحصر.

الاستثمارات العربية في امريكا تصل الى مبالغ خيالية، ولذلك لا نبالغ ابدا اذا قلنا ان هذه الدول وخيراتها هي ركيزة اساسية للاقتصاد الامريكي، وبالتالي للغطرسة والتسلط والاستغلال، والصورة واضحة لا يوجد فيها اي تعقيد، وهي صورة فيها ابشع استغلال وتسلط وهيمنة واذلال واهانة واستعلاء.

الحرب على العراق جريمة من اكبر الجرائم هي وحجمها ونتائجها واهدافها.

عندما تحذر امريكا من حرب اهلية في العراق على اساس طائفي، وعندما تحذر من ذلك في لبنان فهي في الواقع تطلق الطلقة من اجل ذلك.

في اول ايام عيد الاضحى المبارك تم تنفيذ حكم اغتيال الرئيس العراقي الشهيد صدام حسين، المحكمة والحاكم والحكم امريكي 100 % ، والادعاء بغير ذلك هو كذب رخيص ودجل واستهبال رغم تكرار هذا الادعاء، فتكرار الكذبة لا يجعل منها صدقا وحقيقة، والمسلمون تأثروا بالتوقيت، في عيدهم الكبير المبارك وكل هذه الامور مأخوذة بالحسبان، ولكن يبقى الامر الاساسي بأي حق تأتي امريكا وتحتل العراق !! وتغير نظام الحكم!! ويجيء التوقيت ليعطي الجريمة الكبرى مسحة دنسة من الاذلال والاهانة للمسلمين.

ان جريمة الاغتيال جزء من جريمة اكبر ـ الغزو والاحتلال ـ فقد تمت على يد مجرمين محتلين امبرياليين اعدى اعداء الشعوب وخاصة الشعوب العربية وبواسطة حكومة حثالة عميلة، وهذا الاحتلال الذي ادعى بانه يجلب الحرية والديمقراطية يودي بحياة مئات الالوف من الشعب العراقي، واعداد هائلة ترحل من وهج هذه الحرية والديمقراطية، ان كل نقطة دم تسيل في العراق هي بمسؤولية الغزاة وعملائهم، فأي صمت رهيب هذا في العالم العربي على امريكا؟

ان من واجب كل القوى التي تتمتع بالكرامة الوطنية والقومية والانسانية في الاقطار أن تنادي بالتصدي لهذا المخطط الاجرامي الامريكي ضد الشعوب العربية وحقوقها وخيراتها ومستقبلها، ويجب ان تبقى هبة الغضب العربية والاسلامية على اغتيال الرئيس صدام حسين باقية ريثما يزول الاحتلال الامريكي وان تظل رمزا للنضال والكبرياء، فالصحافة الاسرائيلية راهنت على الغضب العربي والاسلامي ووصفته ـ زوبعة في فنجان ـ وحري بشرفاء واحرار الامة ان يثبتوا لشهدائهم بأن غضبهم سيظل حيا الى ان يزول الاستعمار.

* كاتبة من فلسطين

انتحار الديمقراطية مع ايديولوجية الديمقراطية

د. عماد فوزي شُعيبي*

■ مع نهاية القرن العشرين، كانت دعوات الديمقراطية تنتشر بسرعة تفوق سرعة انتشار الافكار اليسارية في الخمسينيات والستينيات مما شكل آنذاك ظاهرة «ايديولوجيات اليسار».

ومثلما كان الخروج عن اليساريات انذاك يُعهَّر ويُجرِّم، كان مجرد الدعوة الى التعقل في الدفع باتجاه تحويل الديمقراطية من «ايديولوجية الديمقراطية»، يتلقى نفس الاتهامات مضافاً لها اتهامات العمالة؛ وهي نفس اتهامات العمالة التي رافقت «ايديولوجية اليساريات»، مع الفارق ان تلك العمالات كانت منسوبة الى الغرب او الامبريالية او البرجوازية... في النموذج اليساري، فيما نُسبت الى الانظمة الديكتاتورية او المخابراتية، او الى تهمة الانتهازية او الوصولية في النموذج الديمقراطي.

وكان الطريف ان اغلب الذين رافقوا ونظروا للايديولوجية الديمقراطية هم انفسهم الذين كانوا يعتبرونها هرطقة برجوازية صغيرة عندما كانوا يساريين. وهم انفسهم الذين نقلوا نفس مصطلحات الاتهام الى الجناح الديمقراطي من طير الايديولوجية الذي لا يزال يحوم حول المنطقة العربية بالاسلوب اليوتوبي الذي يتحدث عنه كارل مانهايم عندما يؤكد على ان كل ايديولوجية هي مشروع مدينة فاضلة لا تتحقق، وهي اقرب الى الايديولوجية كقناع يخفي الوقائع، تحت ستار من الوعي المزيف.

اللافت ان المنطقة العربية لا تزال تتحرك كـ (مفعول به) على المستوى المعرفي؛ فالافكار التي تسودها هي على الاغلب الافكار التي لا تني تاتي انعكاساً عن عصر او مرحلة ايديولوجية تسم وعي وسلوك (الكبار) في العالم. صحيح انها تدغدغ الموجود والمُعانى منه والمأمول... لدى نخب هذه المنطقة، الا انها لا يمكن الا ان توصف بانها رجع صدى لوقائع الآخرين، فالمدّ اليساري اليوتوبي في القرن الماضي انعكس دوغمائيات (معرفة يقينية لا تقبل التغيير او المراجعة) يسارية في منطقتنا العربية.

وارتبطت هذه الدوغمائيات بحاجات الفقراء والحلم الذي اجتاح الارياف والاقليات لوأد الصراع الطبقي في مهده والولوج الى عالم الفردوس العدالي الذي يطوي صفحة الجوع والقهر الاجتماعي مشفوعاً برؤية اختزالية تختزل كل المشكلات الانسانية بالبعد الاقتصادي، تماماً كما هو حال اغلب النظريات التي رافقت البعد النقدي الذي جسدته فلسفة عصر الانوار والتي اختزلت الحياة والمعرفة بثنائية (الظاهر/الباطن) وانهت المتنوع لحساب الواحد واراحت ضمير الانسان الواعي بتشريط معرفي ربط كل الموجود بسبب وحيد القضاء عليه او معرفته او السيطرة على ابعاده سرعان ما يلج بالبشر الى عالم فردوسي، فيما المعرفة الاختزالية الواحدية هي (الخلاص) البشري، حيث ان ايديولوجيا الخلاص هي الايديولوجية التي تتحكم بالوعي البشري النمطي الدوغمائي سواء كان دينيا او ماركسيا... او حتى ديمقراطياً.

المفعول به الخلاصي الثاني اتى مع انداح ايديولوجيا الديمقراطية، ولكن هذه المرة بدلا من ان تأتي الايديولوجية الخلاصي من الشمال والشرق فانها اتت من الغرب.

ايديولوجيا التنميط الاوروبي وتوحيد الهوية العالمية للدول عبر الديمقراطية، انتجت دعاوى ديمقراطية خجولة في العالم وانعكست في الثمانينيات والتسعينيات ايديولوجيات انعكاسية في عالمنا العربي تتخذها وسيلة لايجاد فرصة للبعض لولوج السلطة، فيما تدغدغ الموجود والمُعانى منه والمأمول، وتستند الى معاناة الوعي العربي السائد من التسلط والبيروقراطية وضعف الحريات العامة والفساد وضعف الفرص الاقتصادية وارتباطها بالصعود في سلم هرم الدولة التي باتت تجسد الاقتصاد – السياسي بشكل افرط في ربط السياسة بالمصلحة الاقتصادية اختزلها لسبب او لاخر بالدولة المركزية التي نشأت على اساس تشكل قسري للعصرنة في تلك البلدان، تتجاوز التخلف الاقتصادي والاجتماعي والجهل والأمية... نحو جامع مانع هو الدولة.

لكن مع سقوط الاتحاد السوفيتي انبرى لفيف (ايضاً من اليسار التروتسكي الامريكي) لانتاج نظريات تتصل بالمشروع الديمقراطي الذي نظَّر له الفيلسوف الامريكي– الالماني (ليو شتراوس) وتلميذه (آلان بلوم) كبديل من الليبرالية المرزولة ولتوحيد الهوية العالمية بتعميم الدستور الامريكي الذي يسهل سيطرة النخب (اي الفلاسفة وهم هنا كما نظَّر لهم ليو شتراوس نخب المحافظين الجدد في الولايات المتحدة بسيطرتهم على الحكم في الولايات المتحدة) على العالم بأسره. فليو شتراوس كان المنظر الاهم لضرورة استلام الفلاسفة (اي هم) الحكم في الولايات المتحدة الامريكية وفي العالم (عبر الديمقراطية) بديلا من الشعوب غير الذكية؛ حيث كتب: «ليست الفضيلة الاخلاقية تطبيقاً عند الرجل الذكي حقاً، او الفيلسوف. فالفضيلة الاخلاقية ليس لها وجود الا في الرأي الشعبي حيث يكون هدفها السيطرة على غالبية الناس غير الاذكياء».

كان احتقار الرهوط والناس العاديين هو دين ودينونة الفلاسفة القادمين من الغرب هذه المرة لتعميم «ايديولوجية الديمقراطية» وليكون عالمنا العربي مسرحاً للوثة مشابهة فكريا للوثة اليسار الايديولوجي مفعولاً بنا مرة ثانية.

مرة اخرى الفلاسفة يريدون ان يحكموا: في المرة الاولى كانوا ماركسيين وفي المرة الثانية ماركسيين تروتسكيين انقلبوا بالثورة المستمرة الى ثورة مستمرة ايديولوجية ديمقراطية. وكان على منطقتنا ان تدفع للمرة الثانية ثمناً غالياً لايديولوجيات (الكبار).

وكانت نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما وصراع الحضارات لصموئيل هانتغتون هي البواكير الاكثر رصانة والاقل توظيفاً على المستوى السياسي لايديولوجية الديمقراطية، الا ان نفس المجموعة تقريبا ولكن من الشق الاكثر شبقاً لولوج عالم السياسة والمصالح الاقتصادية كانت الاسرع في محاولة الانقضاض على احدى الحاملتين السياسيتين في الولايات المتحدة الامريكية (الحزب الديمقراطي اولا ثم بعد فشلهم مع كلينتون انتقلوا الى الحزب الجمهوري) وذلك لتمرير مشروعهم، واللافت ان جميعهم من تلامذة ليو شتراوس والان بلوم من امثال دوغلاس ج. فيث وريتشارد بيرل ومايكل ليدن وجون بولتون ورامسفيلد وصولا الى ديك تشيني كملحق او نصير للمجموعةالتي انتظمت في مؤسسة «هيريتيج فاونديشن» (HF) وعبرت في اكثر من دورية كالكومنتري عن افكارها بوضوح، حيث كتب دوغلاس فيث في 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2003 مقالا في HF يقول فيه:

«ان زمالتي في «هيريتيج فاونديشن» تعود الى بداية عام 1977، اي قبل حوالي ست وعشرين سنة، عندما كان مركزها في «ستانتون بارك» الطابق الخامس، القطاع (ج) في «نورث ايست». وفي اثناء ذلك، كنا نحن المحافظين الجدد، وبما انني كنت عضواً جديداً، ومع باقي الشخصيات التي كنا نطلق عليها اسم المحافظين القدامى، قد كوّنّا فكرة شائعة تعتمد على ثلاث ركائز:

1– دعم الديمقراطيات التي تعاني حصاراً وحالةً من الاختناق الحاد.

2– محاصرة وتطويق الامبراطورية السوفييتية.

3– توطيد وتقوية السياسة الخارجية الامريكية التي ترعى السلام وتسانده.

وقد ساعدت HF كثيراً في تشكيل ما يسمى «اتحاد المحافظين الجدد» والذي يتألف من رجال امثالنا بدأوا حياتهم السياسية كديمقراطيين وكأمثال رجال ينتمون الى الطراز القديم من المحافظين. ان هذا الاتحاد يضم نماذج تمتاز بعمق التفكير وتعتمد في سياستها على مبادئ فلسفية بحتة، ولكن هذا الاتحاد لم يتصف بالانتهازية ولم يكن انتهازياً او تكتيكياً ولم يحظ بانسجام وتوافق سياسي ذي عُرى وثيقة.

وقد ادركت تلك العصبة ان الحرب الباردة لم تكن تمريناً لوازين القوى بين قوتين عظميين، ولم تكن اشتباكاً بالأيدي لقردين يتسابقان للوصول الى «دواسة الطواحين». ولكن تلك الحرب الباردة كانت صراعاً نبيلاً بين ديمقراطية الغرب المتحررة وبين استبدادية النظام الشيوعي السوفييتي، وهذا الامر قد مكّن شريحة المحافظين من ان تحتل مكاناً حيوياً في الطيف السياسي الامريكي، وجعل منها شريحة تمتاز بالفكر الخلاق والذكاء المتلألئ والطموح الجاد، وقادرة على تحويل ونقل مقاليد الادارة الامريكية من ايدي الرجعيين الملين الى ايدي الشبّان اليافعين القادرين على الخلق والابداع».

مجموعة تصف نفسها بالذكية والتقدمية وأما الآخرون فرجعيون مملون، وهم عميقو التفكير والباقون سطحيون... تبدو انموذجاً لدانا المتضخمة لدى بعض اغلب الفلاسفة او العاملين في الحقل المعرفي– السياسي، ولا يختلفون عما نعرفهم في بلداننا العربية، سرعان ما تجد افكارهم صدى لدى الاخيرين فنراهم يتجاوبون مع المدّ الايديولوجي ويعرّبونه ويوطنونه، ولا يريدون ان يستفيدوا من التجربة الايديولوجية الماركسية التي اغتربت وسقطت معهم وعلى ايديهم وافكارهم نفسها تقريبا المُعرّبة والموطنة تارة باسم الطريق العربي الى الاشتراكية وتارة باسم الماركسية العربية وو ووهي في التحليل الاخير مجرد تحويمات في فلك المشروع الايديولوجي لعصر او مرحلة الكبار.

المعادلة هذه تلخصها فكرة ان الكبير او المنتصر يُنمط الصغير على هويته، مستفيداً او برجع الصدى للاحتياجات الواقعية الانسانية والاجتماعية المتوافرة لدى كل تجمع بشري ينقصه شيء وتلزمه اشياء. ففيما كانت الاستجابة للماركسية او على الاقل للاشتراكية تفرضها الاحتياجات الاقتصادية للبشر وتدعمها حالة العوز والفقر... فان الاستجابة لدعاوى ايديولوجية الديمقراطية قد وجدت مستلزمات استجابات البعض لها وترويجها ايديولوجيا وسياسياً بخلط مفرط بين الحريات العامة وتداول السلطة.

كان الالاف ان هذه المجموعة من المحافظين الجدد كانت تضفي صورة نمطية ايديولوجياً عن الديمقراطية بقول فيث: ان الشعور بالتفاؤل هو امر واجب لان الديمقراطية ستثبت نفسها يوماً بعد يوم بانها زهرة دائمة التفتح وانها وردة لا يمكن ان تعبث بها الريح كيفما تشاء. وان الانظمة الاستبدادية التي بنت دولتها على الممارسات الدكتاتورية لن تدوم طويلاً، وستحتاج هذه الدول الى اكثر من ثلاثين عاماً حتى تصبح قادرة على تأسيس قواعد الشرعية والديمقراطية، ولكن لا احد من هذه الانظمة يمكنه المخاطرة والشروع ببدء الانتخابات الحرة. الا ان هذه الشاعرية الفكرية لم تكن الا غطاء لم يلبث اقل المحافظين الجدد مداورة الا ان كشف خلفياته الحقيقية لإرساء مبدأ السيطرة من قبل حكام الولايات المتحدة الامريكية من الفلاسفة على الشعوب غير الذكية (من امثال شعوبنا حيث تعبير غير ذكية هو النسخة الديبلوماسية لتعبير الغبية) والتي لا تصلح لان تحكم نفسها كما اعلن عن ذلك زلماي خليل زادة الايراني الاصل وفؤاد عجمي (كتب مقالاً في الفورين افيرز بهذا الخصوص) اللبناني الاصل (باعتبارهما الادرى بواقع ساحة عمليات ايديولوجية الديمقراطية: العالمين الاسلامي والعربي) عندما اعتبرا ان هذه الساحة لا تصلح اصلا لقيامة الدولة فيها لانها مؤلفة اصلا من اديان وطوائف ومجموعات اثنية وان قيامة الدولة المركزية في اغلبها قد اتسمت بالطغيان مما اقام دولاً بالقوة وان الضرورة تقتضي احالتها الى وضعيتها الاولى اي العشواء Chaos، ونلاحظ انهما استخدما هذه المفردة بديلا من Disorder التي تعني الفوضى لوضع كان اصلا منظماً، فالنظرية تقوم على اعادة العشواء الى العشواء اي الى نموذجه الاول وهذا لا يكون الا بالديمقراطية (وهي كما اسلفنا ليست فضيلة كما اعلن عن ذلك استاذهما ليو شتراوس بل وسيلة للسيطرة على الاغبياء) حيث كل من افراد الشعوب (غير الذكي) سينتخب ممثله من طائفته وعشيرته وقبيلته ودينه ومذهبه ومجموعته الاثنيّة ما سيعيد التشظي الداخلي الى واقعه الاول ويطوي صفحة من صفحات تجميع الشظايا عبر الدولة الطاغية، ويهيىء لنموذج من اقامة المرجعية الخارجية الامريكية حصرا في ساحة مفتوحة ديمقراطياً للمجموعات المتشظية اجتماعيا وسياسياً يجمع عشوائيتها نظام لدولة غير مركزية تسهل حكم الفلاسفة الامريكيين للعالمين العربي والاسلامي وهو مصدر الارهاب، حيث الاخير هو محور الحرب العالمية الرابعة لامريكا والعالم المتحضر وفقاً لايديولوجية الفلاسفة الديمقراطيين... الجدد.

كعادة اية فكرة مهما رآها البعض برّاقة وملبية لحاجات اساسية او اخلاقية سرعان ما تهوي على مذبح الواقع، فشجرة الحياة خضراء لكن النظرية رمادية تقع بين ابيضها واسود الواقع باعتباره ليس هو المرغوب والاقصى من طموحات البشر والنخب... الذكية.

* رئيس مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية

العراق بين المحرقة والمقصلة

سمير جبور*

■ سيدوّن التاريخ أن من دمّر العراق بحضارته وبنيانه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وكاد يقضي على هويته القومية العربية ليس صدام! وأن من قتل مئات الالاف من أطفاله وسائر أبنائه، ليس صدام حسين وانما جورج بوش ومحرضوه من المحافظين الجدد عملاء الحركة الصهيونية. حتى وان كان صدام حسين قد انتهج سياسة البطش وارتكب الجرائم لكي يحافظ على لحمة الشعب العراقي، ويضمن استمرار حكمه بكل ثمن وهذه جرائم لا مبرر لها طالما تودي بارواح الابرياء، لكن المحتلين لم يسعوا الى اعدامه بسبب ذلك، أو لانه قتل 148 في الدجيل على اثر احباط مؤامرة لاغتياله. والاّ لماذا لا تنصب المشانق لقتلة أطفال فلسطين من جنرالات الجيش الاسرائيلي الذين يستخدمون جميع انواع اسلحة الدمار الشامل لهدم الوطن الفلسطيني، ويرتكبون جرائم الابادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني؟

واذا كانت قلوب جورج بوش وثعالبه تتمزق بسبب قتل ابناء الدجيل والانفال، لماذا يصمت على المذابح وأعمال البطش ضد ابناء سائر الشعوب العربية التي يرتكبها بعض الحكام العرب الذين يحميهم جورج بوش واسرائيل. ولو كان صحيحا ان جورج بوش همه نشر «الديموقراطية» بواسطة التخلص من «الطغاة» كما فعل مع صدام حسين، واعدا ان «الحرية والديموقراطية» بعد صدام سوف تنتشران كما تنتشر النيران في الهشيم، لماذا لا نرى المشانق تنصب في بعض العواصم العربية لكي «تنعم» هذه الشعوب بـ«ديموقراطية» بوش و«تذوق» طعم الحرية كما يذوقها الشعب العراقي وينعم بها الآن؟

انه لمشهد يبعث على السخرية والاشمئزاز في وقت واحد. صدام حسين يعلق على المشنقة بسبب أعماله وهي مستنكرة، ولكن المعضلة التي يواجهها المحتل الامريكي انه يعاقب مرتكب هذه الجرائم بجرائم أكبر منها، والمحرقة ضد العراق وعملية تدمير هذا الجزء المهم من الوطن العربي مستمرة. صدام حسين يعدم لانه ارتكب جرائم ضد ابناء شعبه، في حين أن الذين يبيدون العراق عن بكرة ابيه، كما تشتهي الحركة الصهيونية طليقون يواصلون تنفيذ خطتهم الجهنمية، ويرتكبون او يسبّبون في وقوع عمليات ابادة جماعية ضد الشعب العراقي.

ولو كان اعدام صدام سيجلب الاستقرار والحرية والديموقراطية الى العراق لربما تنفست بعض قطاعات الشعب العراقي الصعداء. ولو كان اعدام صدام سيحقق وحدة العراق ويعيد اللحمة الى نسيجه الاجتماعي والسياسي، ربما ما كان اعدام الرئيس العراقي سيثير ردات الفعل الغاضبة لدى فئات واسعة من الامة العربية.

ان الذين نفذوا حكم الاعدام ضد الرئيس السابق بطريقة غير انسانية وغير حضارية لم يكن همّهم مصلحة العراق العليا، او تحقيق العدالة الاجتماعية والاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي للشعب العراقي. بل كان كل همّهم الانتقام وارضاء غرائز الناقمين على صدام بحق او بغير حق.

انهم متحيزون وفئيون وناقمون والقيادة التي لها هذه الصفات لا تستطيع ان تحقق اية وحدة وطنية. ولن تتمكن من حكم العراق الا بوسائل بطش وتنكيل تصبح اساليب صدام امامها، رغم قسوتها، اكثر رافة.

ان من جاء ليحكم العراق، بعد صدام، تحت راية الاحتلال الامريكي ـ الصهيوني، لن يستطيع أن يكتسب ثقة الشعب العراقي بجميع طوائفه. ومن يريد ان يمارس لعبة الطائفية سينتهي به الامر الى تقسيم العراق الى دويلات طائفية، وهو حلم يراود اساطين الحركة الصهيونية منذ عهد بعيد.

وهنا يطرح السؤال: من له مصلحة ايضا في اعدام صدام حسين بتلك الطريقة المذلة للامة العربية باسرها؟ بالتأكيد اسرائيل. ليس لان صدام كان يشكل خطرا عليها. واسرائيل عندما دمرت المفاعل النووي العراقي في سنة 1981، ليس خوفا من امتلاك صدام للسلاح النووي. اذ كانت تدرك ان هذا الخيار بعيد المنال، وحتى لو تحقق لن يكون خيارا استراتيجيا فعالا لما تمتلك اسرائيل من قوة نووية رادعة. انما ارادت أن تحذر العرب من أن هناك خطوطا حمراًلا يجوز تجاوزها حتى وان كان الامر يتعلق بالطاقة النووية للاغراض السلمية. ولكن لماذا كانت اسرائيل معنية بان يعدم صدام باسلوب يخالف جميع الاعراف الدولية. يقول افرايم هليفي، رئيس الموساد السابق ان «اعدام صدام حسين.. سيخلي من مسرح التاريخ شخصية بطل محبوب من جماهير العرب والمسلمين في ارجاء المعمورة. في نظرنا كان الرجل عدوا مريرا تجرأ على مهاجمة اسرائيل ب 39 صاروخا... هدد بحرق نصف اسرائيل... ونقل دعما ماليا سخيا لعائلات المنتحرين» ... («يديعوت احرونوت» 2006/12/31).

وفي الحقيقة ان رئيس الموساد السابق لم يقل الحقيقة كلها، لان مثل هذه الامور لا تؤثر في اسرائيل لا من قريب ولا من بعيد، لان الصواريخ التي اطلقها صدام خلال حرب الخليج الاولى لا تزال لغزا عسير الحل لانها كانت غير فعالة، بل درّت على اسرائيل اموالا طائلة واسلحة متطورة وفيرة ثمن تحليها بـ«ضبط النفس». وتهديده باحراق نصف اسرائيل لا يعني شيئا بالنسبة الى قادة اسرائيل لانهم يعلمون ان هذه تهديدات لفظية لا معنى لها. وتقديم دعم لعائلات «الانتحاريين» الفلسطينيين ما هو سوى دعم رمزي ليس له اي معنى استراتيجي.

ولكن باي معنى كان صدام يشكل خطرا استراتيجيا على اسرائيل؟

خلال السنوات الاولى من حكمه استطاع صدام أن يجسّد الطاقة المحتملة للعراق كدولة اقليمية «عظمى» في الشرق الاوسط. والحق يقال ـ انه على الرغم من جميع هفواته وبطشه وقسوته ـ اخذ يبني دولة عصرية، واستطاع ان يسخر الطاقات الكبيرة للعراق من أجل تحقيق هذا الهدف. فقد بنى المدارس والجامعات والمعاهد وعمّم التعليم المجاني، حتى أمام طلاب العلم من جميع الدول العربية، وارسل البعثات الطلابية الى الخارج اذ تخرج آلاف العلماء العراقيين في شتى المجالات ولا سيما في مجال الذرة وتطويرها للاغراض السلمية. ناهيك عن تطوير الاراضي الزراعية لما يتمتع به العراق من تربة خصبة ومياه وفيرة وهو معروف منذ عهود بـ«الهلال الخصيب». علاوة على انشاء صناعة ثقيلة وهذه ما ساهم في انشاء اقتصاد قوي. فعلى سبيل المثال كان الدينار العراقي اقوى من الدولار الامريكي بكثير (بلغت قيمة الدينار العراقي اكثر من ثلاثة دولارات). والاهم من ذلك ان صدام اقام جيشا قويا جيد التدريب والتسليح استطاع ان يصمد في الحرب مع ايران لمدة 8 سنوات.

وربما هذا بالذات «فتح عيون» المخططين الاستراتيجيين الاسرائيليين على حقيقة ان هذه القوة انما هي معطى جديد في المعادلة الاستراتيجية في الشرق الاوسط. وطوال فترة الحرب العراقية ـ الايرانية دار جدل متعدد الوجوه في اسرائيل حول المعنى الاستراتيجي لصمود الجيش العراقي سنوات طويلة في قتال عنيف بالنسبة الى مستقبل اسرائيل الذي بنته على تحقيق التفوق العسكري على العرب أجمعين. ومن هذا المنطلق، وعلى الرغم من مغامرات صدام العسكرية التي أدت الى هدر طاقات عراقية ضخمة، كان هاجس اسرائيل على الدوام ان يخلف صدام «المنهك» زعيم يواصل «النهضة» التي بدأها صدام ويعيد الى العراق مجده وسؤدده. واسرائيل لاتخشى من قوة العرب العسكرية طالما انها قادرة على تحقيق التفوق العسكري بفضل الدعم الامريكي. ولكنها تخشى من أن يطور العرب مجتمعات قائمة على العلم والتكنولوجيا واستغلال الثروات الطبيعية لبناء اقتصاديات متطورة.

ثم ان لاسرائيل مصلحة كبرى في اعدام صدام بتلك الوحشية من حيث ان مشاهد الاعدام كفيلة باذكاء نيران الحرب الاهلية التي اخذنا نرى بوادرها منذ الآن. وذلك تحقيقا لنبوءة احد الباحثين الاسرائيليين الذي كتب يقول «ان العراق الغني بالنفط من جهة، والذي يكثر فيه الانشقاق والاحقاد في الداخل من جهة اخرى، هو الرشح المضمون لتحقيق أهداف اسرائيل... وقوته تشكل في المدى القصير خطرا على اسرائيل اكثر من أي خطر آخر».

ولكن الشعب العراقي المعروف بابائه ووطنيته لن يسمح لاعدائه بتحقيق اهدافهم. وسوف يندحر الاحتلال ويتحرر العراق من جلاديه ومستعمريه مهما طال الزمن. وسوف يستعيد العراق هويته القومية العربية التي شنت عليه حرباً مدمرة للقضاء عليها. وقد تنبأ الصحافي الاسرائيلي بن كاسبيت بان الامريكيين «سيفرون عائدين الى أمريكا، وسوف يتركوننا هنا مع الشيعة والسنة والقاعدة وحزب الله ايضا» («معاريف»، 2007/1/1).

* كاتب من فلسطين يقيم في كندا

الصراع الأمريكي الايراني في الشرق الأوسط ما بعد صدام

بوزكري شكرون*

■ لقد عاش العالمان العربي والاسلامي فاجعة اعدام صدام حسين وهما يحتفلان بعيد الأضحى تحت نير الاحتلال الأمريكي للعراق. بالفعل لقد نجح عميل الاستخبارات الأمريكية الحاكم العسكري بول بريمر في نسج مخططاته الجهنمية التي يريد من ورائها تقسيم العراق على أساس عرقي وطائفي يسهل بعد ذلك التحكم في الموارد النفطية والبشرية لهذا البلد. وبعد خروج بول بريمر وتنفيذ مخططاته التخريبية والانتقامية في العراق، لا زال الشعب العراقي الذي عرف نهضة علمية وتكنولوجية وثقافية وفكرية لا مثيل لها في العالم العربي يعيش داخل دوامة العنف الطائفي الذي تغذيه استراتيجية الأرض المحروقة التي تريد الادارة الأمريكية بزعامة المحافظين الجدد تطبيقها في العراق مدعية ارساء الديمقراطية والعمل على استقرار هذا البلد.

وتريد أمريكا باعدام صدام حسين يوم العيد تحويل الأنظار عن اخفاقاتها العديدة في بلاد الرافدين بعد تكاث